فينشرون الفتاوى التي تضع الطبقات المختلفة في محل الريبة والازدراء، وهناك من يتصل بأعداء الإسلام والمسلمين ويقيم العلاقات الودية معهم، وعندما أفكر في موضوع المشاكل المتواجدة فتطول قائمتها حتى لا يمكن حصرها بسبب تنوعها وتعددها.

ونشعر بخطورة إزدياد المشكلات وبشدتها بعد انتقال الشيخ أبي الحسن إلى رحمة الله إزديادا بالغاً، والسر في ذلك بأنه ليس هناك شجرة كبيرة يجتمع في ظلالها جميع القادة والساسة رغبة أو رهبة أو اضطراراً، والأحوال السياسية متغيرة ومؤثرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية حتى لا يمكن صرف النظر عنها بأى صورة، لأن الشعوب والأقوام الأخرى تريد الاستيلاء والتسلط والسيطرة من هذا الباب.

وفي مثل هذه الظروف نحن صامتون نائمون، مصرون على بقاء حالة الجهل والاغفال وعدم الاطلاع والمعرفة بأحوال الأمة.

ومن الواقع المؤلم المؤسف أن بلادنا الهند وما فيها من الشعب الإسلامي الهندى أصبح اليوم يتيما بعد ما فقد إمامه وقائده المتيقظ الذي عاش عمره كله للإسلام، ونذر له فكره وقلبه ولسانه وقلمه وجهاده، وخاض معاركه تحت راية الإسلام، رافضا كل جاهلية وطاغوت بأى اسم ظهرت وتحت أي عنوان تزينت للناس.

والله سبحانه وتعالى لن يضيع هذه الأمة بل يحفظها ويصلح بالها، لأنها حملت الأمانة الإلهية، والأمة الإسلامية لن تبقى عقيمة أبدا عبر التاريخ بل أنها ولدت وأنجبت آلاف من الشخصيات خلد ذكرها ومكث نفع جهودها وخيرها في الأرض والسماء.

والهند في بحث متواصل عن مثل شخصية أبي الحسن ــ من أبناء سيدنا حسن حارس من حراس هذا الدين ــ وتنادي نداءها.. فمن يجيب؟

والله على مانقول وكيل، والسلام على من اتبع الهدى.

■■ الشيخ أبو الحسن الندوي.. ورابطة الأدب الإسلامي العالمية

لعل من المناسب أن نقدم لموضوعنا عن دور سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله في رابطة الأدب الإسلامى العالمية بمقدمة نتعرف فيها إلى هذا الأدب الذي قامت له رابطة عالمية تضم تسعة مكاتب متناثرة في أنحاء العالم العربي والإسلامي بين المملكة العربية السعودية ومصر والأردن والمغرب العربي والهند وباكستان وبنجلاديش وماليزيا وتركيا، ثم لابد لنا بعد تلك المقدمة من أن نعرض إلى جهود الشيخ الندوي في مجال الأدب الإسلامي قبل الحديث عن دوره في قيام الرابطة ومسيرتها.

بقلم الدكتور
عبدالقدوس أبوصالح

□□□

وقد عرفت رابطة الأدب الإسلامي هذا الأدب بأنه «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي».

وهذا يعني أن الأدب الإسلامي أدب مضمون بالدرجة الأولى، وهنا أقول: ليس هناك موضوع يحظر على الأديب الإسلامي أن يتناوله في قصيدة أو قصة أو مسرحية شريطة أن ينطلق هذا الأدب من التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والحياة والكون.

وهنا أقول أيضاً: ليس صحيحاً مايتوهمه بعض الناس حين يظنون أن الأدب الإسلامي هو أدب الوعظ المباشر الذي تحدد فيه الموضوعات، وتقيد فيه تجربة الأديب، ويحد من انطلاقه وإبداعه.

وأما عن قضية الشكل في الأدب الإسلامي فليس هناك شكل أدبي يحرمه الإسلام بصورة مبدئية إلا إذا كان هذا الشكل يعدو على المضمون الإسلامي أو على ثوابت الإسلام. وليست إسلامية المضمون شفيعة للأديب المسلم أن يقصر

ندوات.. في تأبين الشيخ

في جمالية الشكل، ولا في التجويد الفني، فذلك مما يزري بالأدب الإسلامي، ويضر به، ويكون حجة عليه في يد خصومه، بل إن الأديب المسلم مدعو أكثر من غيره إلى أن يبلغ قمة الروعة في الأداء الفني، حتى يكون هذا الأدب قادراً على التصدي لأدب العقائد والمذاهب (الأيديولوجيات) المنحرفة عن الإسلام، أو أدب العبث الهدام، أو أدب الجنس والانحلال، أو أدب الحداثة الفكرية المدمرة، لا أدب الحداثة بمعنى التجديد في الشكل والمضمون، وحتى يكون الأدب الإسلامي شرارة توقظ القلوب بحرارة التجربة ولهيب الإبداع، ونوراً يسري على سناه المسلمون ليخرجوا من تيه الضياع.

ومن منطلق الأدب الإسلامي هنا يأتي دور سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الذي كان أمة وحده، والذى قال فيه الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى الزرقا: «إنه قطعة من السلف الصالح أراد الله لها أن تعيش في عصرنا الحاضر» وقال عنه العالم المحقق الأستاذ عبدالفتاح أبوغدة: «إنه بركة العصر».

ولقد أراد الله لهذا الرجل الذي نشأ يتيماً، وعاش زاهداً أن يجمع بين الفقه والتفسير والحديث والتربية والأدب والدعوة، مع ما آتاه الله من مكارم الأخلاق ورجاحة العقل وفرادة المنهج، حتى أصبح جديراً بأن يلقب بحكيم الهند بل حكيم الإسلام في هذا العصر.

ويتمثل دور الشيخ الندوي في مجال الأدب الإسلامي في أنه أول من تنبه لهذا الأدب، وأول من وضح مفهومه، وكشف عن تنوع مصادره، وأول من أطلق الدعوة إلى مذهب الأدب الإسلامي وإقامة رابطة أدبية عالمية له.

يتجلى التنبيه المبكر لسماحة الشيخ الندوي إلى الأدب الإسلامي في المقال الذي قدمه إلى مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق عندما اختير عضواً مراسلاً فيه، وكان عنوان المقال: «نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي». وهو يرفض في هذا المقال ان يكون الأدب «صناعة تقليدية، ويرفض أن يقتصر على حياكة المداحين والمتملقين والمتحذلقين، ويقرر أن الأدب تعبير جميل صادق عن أحداث هزت الوجدان، وما أجمل المثل الرمزى الذي عرضه عن الأدب المصطنع والأدب الطبيعي أو العفوي، حيث زعموا أن كلباً قال لغزال: مالي لا ألحق بك وأنا من تعرف في العدو والقوة؟ فقال الغزال: لأنك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسي».

وجاء بعد ذلك كتاب سماحة الشيخ «نظرات في الأدب» الذي نشرته الرابطة، ليكون في مجمله «بيان مبادئ للأدب الإسلامي» ذلك أن القارئ يخرج من الكتاب بعدد من القواعد والأحكام حول: مفهوم الأدب وطبيعته، والموقف من فصوله المنسية، وعن آفاق الأدب الإسلامي وبعض خصائصه».

ويقول الشيخ الندوي عن مفهوم الأدب الإسلامي في سياق محاضرة له في المدينة المنورة وهي بعنوان «دور إقبال في توجيه الأدب والشعر»: «انني أتصور الأدب كائناً حياً له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة جازمة، وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت خامد، أشبه بالحركات البهلوانية، والرياضات الجمبازية، فالأدب ليس أداة تسلية، وإلهاء نفس وإزجاء وقت (أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء) فحسب، وإنما الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، وللتأثير في النفس الإنسانية» ثم يستشهد على كلامه بشعر إقبال حيث يقول:

«إنه لا خير في نشيد شاعر ولا في صوت مغن، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماسة. ولا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول، والدوي والذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم والأدب لوحة الحياة الدائمة.. ما قيمة شرارة تلتهب سريعاً وتنطفيء سريعاً؟ وماقيمة لؤلؤة كريمة أو صدفة لامعة لاتحدث حركة في الأمواج، ولا اضطراباً في البحار؟ إنه لا نهضة للأمم إلا بمعجزة، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تجردا من التأثير الذي أحدثته عصا موسى عليه السلام».

وقد أعاد الشيخ الندوي الاستشهاد بأبيات إقبال في حفل

■ الشيخ أبو الحسن الندوي ود. عبد القدوس أبو صالح والشيخ محمد الرابع الندوي في ندوة المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد عام ١٤١٤ هـ

■ د. أحمد بسام ساعي والشيخ أبو الحسن الندوي ود. عبد القدوس أبو صالح والشيخ محمد الرابع الندوي خلال نفس الندوة.

افتتاح المؤتمر الثاني للهيئة العالمية للرابطة في مدينة إستانبول معلقاً عليها بقوله: «إن ميزة الأدب الكبرى وقوته الحقيقية هي أنه يؤثر في النفوس والقلوب، ويغيِّر الاتجاهات والميول، ويحدث الإنقلاب في الأخلاق والعمل والتفكير، ولذلك يستطيع أن يكون أداة تدمير أو بناء، أداة خير أو شر، أداة إصلاح أو فساد، ويمكن أن يستعمل في تحقيق الأهداف النبيلة السامية، أو للوصول إلى الغايات الرذيلة الرديئة، فلذلك ينبغي أن لاتغمض عنه العين، ولا يصرف عنه البصر. وقد شوهدت نماذج هذين الصنفين من الأدب في كل عصر.. إن الأدب يستطيع أن ينشىء المجتمعات. ويؤسس الحكومات، فلابد أن يوجه إلى اتجاه سليم، ويخضع لمنهج صحيح، (كتابة وخطابة وشعراً ونثراً) ولا يعد وسيلة للتسلية والمتعة، وأداة لإرضاء النفس، وإثارة شوارد الفكر، ودافعاً إلى مخالفة القيم والمثل وإنما يتخذ أداة للإصلاح والتقدم، والتقى والعفاف، والحلم والصبر والتوجيه والإرشاد».

لقد أكد سماحة الشيخ الندوي عالمية الأدب الإسلامي، ولفت النظر إلى ضرورة الاهتمام بآداب الشعوب الإسلامية في بحثه الذي قدمه في المؤتمر الأول للهيئة العامة للرابطة

ندوات.. في تأبين الشيخ

الذي عُقد في الهند سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، وكان عنوان البحث: «لمحة عن المدرسة الأدبية الإسلامية في الهندية».

وأما تنوع مصادر الأدب الإسلامي فقد نبه سماحة الشيخ إلى أن نصوص هذا الأدب تتجاوز كتب الأدب التقليدية لنجدها في «كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم والرحلات، وفي الكتب التي ألفت في الإصلاح والدين والأخلاق والاجتماع، وفي بحوث علمية ودينية، وفي كتب الوعظ والتصوف، وفي الكتب التي سجل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم، وملاحظاتهم وانطباعاتهم، ورووا فيها قصة حياتهم».

وأما عن دور سماحة الشيخ الندوي في رابطة الأدب الإسلامي، فقد مر إنشاء هذه الرابطة بمراحل عديدة، إذ بدأت فكرة راودت أذهان عدد من الأدباء الإسلاميين في مدينة الرياض، وكانوا من مختلف الجنسيات، ثم بدأت تتجسد في لقاءاتهم التى بدأت عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م إلى أن استقر رأيهم على تكوين هيئة تأسيسية تدرس أبعاد الفكرة، وتخطط لها، وتراسل الأدباء في سائر الأقطار الإسلامية.

ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي التي دعا إليها سماحة الشيخ الندوي في لكنهو في عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ودُعى إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي، وفيهم كثير من المهتمين بالأدب، وفي هذه الندوة التي أعطت دفعاً قوياً للأدب الإسلامي اتخذت توصية مهمة تتضمن (اقامة رابطة عالمية للأدباء الإسلاميين).

وقد تعزز هذا الاتجاه في ندوة الحوار حول الأدب الإسلامي التي عقدت في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ثم في ندوة الأدب الإسلامي التي عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وفى خلال هذه الفترة رأت الهيئة التأسيسية للرابطة أنه لابد لنجاح المشروع من أن يكون على رأسه شخصية لها مكانتها وشهرتها، مع توافر الرغبة لديها في تبني هذه الرابطة، وهكذا انتدبتنى الهيئة التأسيسية مع الدكتور عبدالباسط بدر للاتصال بسماحة الشيخ الندوي، وعرض ما قامت به من أعمال تمهيدية واتصالات موسعة، مع إجماع أعضاء الهيئة التأسيسية على أن يرأس سماحته هذه الرابطة.

وقد تم اللقاء الكريم بسماحة الشيخ في ظلال الحرم المكي «واستجاب الشيخ الجليل بما عرف عنه من صدر رحب وبصيرة نافذة وإدراك لدور الأدب في وجدان الأمة، وترشيد مسارها، وإنارة طريقها في العود الحميد إلى الإسلام، الذي هو مسوغ وجودها، وحصنها المنيع».

ثم دعت الهيئة التأسيسية بعد الإعلان عن قيام الرابطة إلى مؤتمر الهيئة العامة الأول بعد انتساب عدد كبير من الأدباء إليها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وعقد هذا المؤتمر في رحاب جامعة ندوة العلماء في مدينة لكنهو بالهند عام ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م حيث تم إقرار النظام الأساسي للرابطة وانتخاب مجلس الأمناء، كما انتخب سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيساً للرابطة مدى الحياة، ثم قام سماحته بطلب الترخيص للرابطة في الهند واستجاب المسئولون لطلبه لما له من مكانة لديهم.

وقد كان مما قاله سماحة الشيخ في مؤتمر الرابطة الأول: «إنه لا عجب أن يعقد مؤتمر للمنظمة الآسيوية أو مؤتمر البلدان المحايدة في الهند، ولكن العجب كل العجب أن تؤسس منظمة عالمية للأدب الإسلامي، يشترك فيها كبار الأساتذة العرب والمتخصصين في المجالات الأدبية، ويعقد مؤتمرها الأول في الهند، ويقام مكتبها الرئيسي فيها. إنه فضل من الله تعالى، وثمرة من ثمار الإخلاص وحسن النية، والجهود الطيبة التي بذلها مؤسسو هذه الدار» ويعني ندوة العلماء.

وهكذا مضت مسيرة رابطة الأدب الإسلامي، ومضى رئيسها الجليل يعطيها من قلبه وروحه، ومن اهتمامه ووقته وجهوده، ومن حكمته البالغة وتوجيهه السديد ما جعلها ولله الحمد ثغراً إسلامياً يشار إليه بالبنان، ومنارة مضيئة في طريق الصحوة الإسلامية الرشيدة، مع التزام المنهج الذي عرف به الشيخ الندوي، وهو منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الاعتدال والبعد عن الغلو، ومناصحة